

التبيان في تفسير القرآن

(135) الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء، لان قبل البعث يموت الخلق كلهم، اتدعون فيها - لكشف ذلك عنكم - هذه الاوثان التي تعلمون أنها لاتقدر أن تنفع أنفسها ولاغيرها؟ ! أو تدعون لكشف ذلك عنكم □ تعالى الذي هو خالقكم ومالككم ومن يملك ضرکم ونفعكم؟ ودلهم بذلك على انه لاينبغي لهم ان يعبدوا ما لايملك لهم نفعاً ولايقدر أن يدفع عنهم ضراً وان يعبدوا □ وحده الذي هو خالقهم ومالكهم والقادر على نفعهم وضرهم. وقوله " ان كنتم صادقين " يعني في ان هذه الاوثان آلهة لكم، فبين □ لهم بذلك انها ليست آلهة وانهم في هذا القول غير صادقين. وقوله " بل اياه تدعون " معنى (بل) استدراك وايجاب بعد نفي تقول ما جاءني زيد بل عمرو. واعلمهم □ تعالى انهم لايدعون في حال الشدائد الا إياه، لانه إذا لحقهم الشدائد والاهوال في البحار والبراري القفار، التجؤا فيه اليه وتضرعوا لديه، كما قال " وجاءهم الموج من كل مكان وطنوا أنهم أحيط بهم دعوا □ مخلصين " (1) وفي ذلك أعظم الحجج عليهم، لانهم عبدوا الاصنام. وقوله " فيكشف ما تدعون اليه ان شاء " معناه يكشف الضر الذي من اجله دعوتهم، وهومجاز كقوله " واسأل القرية " ومعناه واسأل اهل القرية. وقوله " وتنسون ما تشركون " معنى تنسون يحتمل امرين: احدهما - ان يكون بمعنى ما تشركون با□. الثاني - أنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من نسيهم، وهذا الذي أحتج □ به على الكفار دلالة على صحة الاحتجاج في الدين على كل من خالف الحق، لانه لوكان الاحتجاج لايجوز ولايفضي إلى الحق لما احتج به على عباده في كتابه. وانما قال: " ان شاء " لانه ليس كلما يدعون لكشفه يكشفه عنهم بل يكشف ماشاء من ذلك مما تقتضيه المصلحة وصواب التدبير، وتوجيه الحكمة. _____ (1) سورة 10 يونس آية 22.